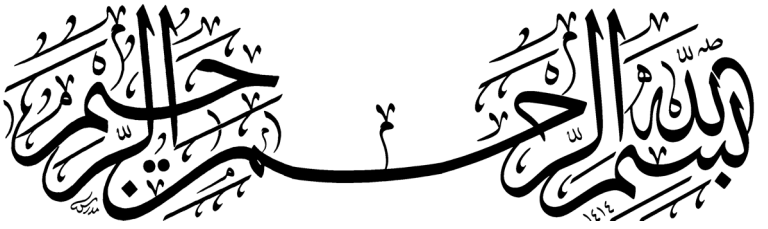
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٤٤

دليل الانسداد عند السيّد المجاهد قدس سره

السيّد عبد الهادي محمد علي العلويّ

الحوزة العلمية – النجف الأشرف

العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

المكتبة ودار المخطوطات

مركز الشيخ الطوسي قدس سره للدراسات والتحقيق

البحث: دليل الانسداد عند السيّد المجاهد قدس سره

الباحث: السيّد عبد الهادي محمد علي العلويّ.

بلد الباحث: العراق - النجف الأشرف.

مراجعة: مركز الشيخ الطوسيّ قدس سره للدّراسات والتّحقيق.

الناشر: مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة.

الإخراج الفني: حيدر جعفر ثامر الجابريّ.

الطبعة: الأولى.

التاريخ: ٦/صفر/١٤٤٣هـ - ٢٠٢١/٩/١٤م

كلمة اللّجنتين العلميّة والتحضيريّة

للمؤتمر العلميّ الدوليّ الأوّل (السيّد المجاهد وتراثه العلميّ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نحمدك اللّهمّ يا مَن شرّعت لنا فيض (مناهل) آلائك، وفتحت مغالق أبواب السماء (بمفاتيح) الرحمة من أوليائك، وشرّعت لنا خاتمةَ الشرائع بسيّد أنبيائك، وأفضل صلواتك وأتمّ تحيّاتك على صفوة الخلق أصفيائك، محمّدٍ وأهل بيته خيرتك ونجبائك، الذين جعلتهم سادة أمنائك و(المصابيح) لهداية عبادك ، وأقربَ (الوسائل) لنيل مثوبتك وعطائك، وجعلت (إصلاح العمل) وقبول الأعمال بولايتهم وولائك، واللعنة الدائمة على أعدائهم أعدائك.

وبعد، فقد زخرت سماء العلم والمعرفة في تاريخ الشيعة بنجومٍ لامعة، يهتدي بسناها الضالّون، ويقتدي بهداها المسترشدون، حملوا راية الحقّ ومشعل الهداية، وصدّوا عن الجهل والغواية.

وكانوا كما ورد في الحديث عن الإمام أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام، أنّه قال: قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عليهما السلام: «**عُلَمَاءُ شِيعَتِنَا مُرَابِطُونَ فِي الثَّغْرِ الَّذِي يَلِي إِبْلِيسُ وَعَفَارِيتُهُ، يَمْنَعُونَهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ عَلَى ضُعَفَاءِ شِيعَتِنَا، وَعَنْ أَنْ يَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ وَشِيعَتُهُ النَّوَاصِبُ. أَلَا فَمَنِ انْتَصَبَ لِذَلِكَ مِنْ شِيعَتِنَا كَانَ أَفْضَلَ مِمَّنْ جَاهَدَ الرُّومَ وَالتُّرْكَ وَالْخَزَرَ أَلْفَ أَلْفِ مَرَّةٍ؛ لِأَنَّهُ يَدْفَعُ عَنْ أَدْيَانِ مُحِبِّينَا،**

وَذَلِكَ يَدْفَعُ عَنْ أَبْدَانِهِمْ»[1].

فبلّغوا معارف أهل البيت عليهم السلام السامية، وأوصلوا كلمتهم كلمة الحقّ العالية، وبثّوا علومهم الصحيحة الشريفة، وفقّهوا شيعتهم على الأحكام الصحيحة المنيفة، وكانوا بذلك القرى الظاهرة، والواسطة في الفيض، والوسيلة في الهداية، والسبب في الرشاد، كما ورد في مناظرة الإمام الباقر عليه السلام مع الحسن البصريّ، حيث قال عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾[2]:

«فَنَحْنُ الْقُرَى الَّتِي بَارَكَ الله فِيهَا، وَذَلِكَ قَوْلُ الله عَزَّ وَ جَلَّ، فَمَنْ أَقَرَّ بِفَضْلِنَا حَيْثُ أَمَرَهُمُ الله أَنْ يَأْتُونَا، فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾، أَيْ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ شِيعَتِهِمْ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴿قُرًى ظَـٰهِرَةً﴾، وَالْقُرَى الظَّاهِرَةُ: الرُّسُلُ وَالنَّقَلَةُ عَنَّا إِلَى شِيعَتِنَا، وَفُقَهَاءُ شِيعَتِنَا إِلَى شِيعَتِنَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾، فَالسَّيْرُ مَثَلٌ لِلْعِلْمِ ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا﴾، مَثَلٌ لِمَا يَسِيرُ مِنَ الْعِلْمِ فِي اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ عَنَّا إِلَيْهِمْ فِي الحلالِ وَالحرَامِ، وَالْفَرَائِضِ وَالْأَحْكَامِ ﴿ءَامِنِينَ﴾ فِيهَا إِذَا أَخَذُوا مِنْ مَعْدِنِهَا الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَأْخُذُوا مِنْهُ، آمِنِينَ مِنَ الشَّكِّ وَالضَّلَالِ، وَالنَّقَلَةِ مِنَ الحرَامِ إِلَى الحلالِ؛ لِأَنَّهُمْ أَخَذُوا الْعِلْمَ مِمَّنْ وَجَبَ لَهُمُ أَخْذُهُمْ إِيَّاهُ عَنْهُمْ بِالْمَعْرِفَةِ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ مِيرَاثِ الْعِلْمِ مِنْ آدَمَ إِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا، ذُرِّيَّةٌ مُصْطَفَاةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، فَلَمْ يَنْتَهِ الْأَمْرُ إِلَيْكُمْ، بَلْ إِلَيْنَا انْتَهَى، وَنَحْنُ تِلْكَ الذُّرِّيَّةُ الْمُصْطَفَاةُ، لاَ أَنْتَ، وَ لاَ أَشْبَاهُكَ

(١) الاحتجاج: ٢/ ١٥٥.

(٢) سورة سبأ: ١٨.

يَا حَسَنُ»[1].

وهكذا أنجبت مدرسة أهل البيت عليهم السلام جهابذة الفقهاء، وأفذاذ العلماء، على مرّ العصور وكرّ الدهور، بالرغم من الكبت والتضييق والمخاوف، ممّا لاقته الشيعة دون غيرها من الطوائف، وكانت القرون الأربعة الأخيرة في تاريخ الشيعة من ألمع القرون تطوّراً وازدهاراً، وأكثر الحقب رجالاً، وأثرى الأدوار نتاجاً؛ حيث تزدحم فيها فطاحلُ العلماء وأساطينُ الفقهاء، ويزخر فيها التراثُ بالعطاء، ممّا يستوجب علينا تكثيفَ الجهود العلميّة لإحياء ذكرهم، من خلال تقديم الأبحاث والدراسات، وإقامةِ المؤتمراتِ والندواتِ، عن أبرز تلكم الشخصيّات، وأهمّ أولئك العلماء والأعلام.

ومن ألمع نجوم القرن الثالث عشر هو: الفقيهُ المتتبِّع، الأصوليُّ المتضلِّع، العلّامةُ المتبحِّر، والمصنِّفُ المكثر، الإمام السيّد محمّد الطباطبائيّ الحائريّ الملقّب بـ: المجاهد.

وقد جمع اللهُ في شخصيّته الكريمة جوانبَ فذّة، وخصائصَ عِدّة، منها: الحسبُ الوضّاحُ والنسبُ العريقُ، فوالدُهُ الفقيه الأصوليّ السيّد عليّ الطباطبائيّ الحائريّ، صاحب كتاب رياض المسائل، وجدُّهُ لأُمّه مرجع الطائفة في عصره، الوحيد البهبهانيّ، المعروف بـ: أستاذ الكلّ، وزعيم الحوزة العلميّة، وأستاذُهُ وأبو زوجته الفقيه الكبير السيّد محمّد مهدي الطباطبائيّ، الملقّب بـ: بحر العلوم.

وهو يلتقي في نسبه بأُسر علميّةٍ كآل بحر العلوم، وآل الطباطبائيّ البروجرديّ، ويمتّ بالصلةِ إلى أفذاذِ العلماء، وأساطينِ المجتهدين، أمثال

(١) الاحتجاج: ٦٣/٢، عنه: البرهان في تفسير القرآن: ٥١٧/٤.

العلّامة المجلسيّ، صاحبِ بحار الأنوار، والملّا محمّد صالح المازندرانيّ، صاحب كتاب شرح أُصول الكافي.

مضافاً إلى ما تمتّع به من مواهبَ ربّانيّة، وبيئةٍ علميّة، وأجواءَ روحانيّة، مفعَمةً بالعلم والتقوى، صقلتْ شخصيّتَهُ العلميّةَ، وما تميّز به من نُبوغٍ وذكاء مبكّر، حتّى قطعَ أشواطَ التحصيلِ في مدّةٍ وجيزة، فدرسَ في حوزةِ كربلاء المقدّسةِ على الفقيه والده، وفي النجفِ الأشرف العريقةِ على الفقيه السيّد محمّد مهدي بحر العلوم، وفي الكاظميّةِ المقدّسةِ على الفقيه السيّد محسن الأعرجيّ، وألقى عصى الترحال في حوزة إصفهان، فصار من كبارِ أعلامها ومدرِّسيها، وبذلك فقد ارتادَ مختلفَ الحوزاتِ العلميّةِ، وأخذ العلومَ من شتّى المدارسِ الدينيّة.

وقد آلت إليه المرجعيّةُ بعد وفاةِ والدهِ زعيمِ حوزةِ كربلاء المقدّسة، فخلفَهُ في الزعامة، واجتمعَ عليه طلّابُ أبيه، والتفّتْ حولَه أماثلُ الطلبةِ، فتسنّم زعامةَ الحوزةِ العلميّة، وتسلّمَ مهامّ المرجعيّةِ الدينيّة، فكانت تردُه الأسئلةُ الشرعيّة والاستفتاءاتُ الفقهيّة من شتّى أقطارِ الدول الإسلاميّة، وصدرت رسالتُه العمليّة التي سمّاها: إصلاح العمل، والتي تُعدّ من أهمّ الكتب الفتوائيّة.

وقد عَمرت بوجوده الشريفِ حوزةُ كربلاء المقدّسة بالعلم، فتتلمذَ عليه جمهرةٌ كبيرة من فطاحلِ العلماء وكبارِ المجتهدين، ومن أهمّهم: الأصوليّ الكبير السيّدُ إبراهيم القزوينيّ، صاحب كتاب ضوابط الأصول، والسيّد محمّد شفيع الجابلقيّ، صاحب الروضة البهيّة في الإجازة الشفيعيّة، والشيخُ حسين الواعظ التستريّ والدُ الفقيه الشيخ جعفر التستريّ، والشيخُ محمّد صالح البرغانيّ،

صاحبُ موسوعة بحر العرفان في تفسير القرآن، وأخوه الفقيه الشيخ محمّد تقيّ البرغانيّ، والفقيه الأصوليّ الشيخ محمّد شريف المازندرانيّ، الملقّب بشريف العلماء، والإمام الشيخ مرتضى الأنصاريّ المعروف بالشيخ الأعظم، صاحب كتاب المكاسب وكتاب الرسائل.

ومن أهمّ الحوادث التاريخيّة في سيرة السيّد المجاهد هي فتوى الجهاد التي أطلقها لحماية ثغور الشيعة، والذبّ عن أعراضهم وأموالهم، وتُعدّ أهمَّ حدثٍ في حياته الشريفة، ومنعطفاً تاريخيّاً مهمّاً في سيرته، بل في تاريخ الشيعة، وعلى أساسها عُرف ولُقّب بـ: المجاهد.

وقد خلّف سيّدنا المجاهد كمّاً هائلاً من التراث العلميّ، أهمّها موسوعته الفقهيّة الشهيرة التي سمّاها المناهل، وموسوعته الأصوليّة التي سمّاها: مفاتيح الأصول، وغيرها من مصنّفاته المهمّة، نحو: الوسائل الحائريّة، الذي دوّن فيه أهمّ القواعد الأصوليّة والفقهيّة، وكتاب المصباح الباهر في إثبات نبوّة نبيّنا الطاهر صلى الله عليه وآله، وكتاب عمدة المقال في تحقيق أحوال الرجال، ورسالة الأغلاط المشهورة، التي تصدّى فيها لتصحيح الأخطاء العقائديّة التي تدور على الألسنة، من غير تحقيق.

وانطلاقاً من جميع ما تقدّم من الأدوار التاريخيّة المهمّة، والخصائص الفريدة، والجوانب المغفولة في شخصيّة السيّد المجاهد، عزم مركز الشيخ الطوسيّ قدس سره للدراسات والتحقيق على إقامة مؤتمرٍ علميٍّ دوليّ، عن السيّد محمّد المجاهد الطباطبائيّ؛ إحياءً لذكراه، وتخليداً لجهوده الجبّارة، ورفداً للمكتبة الإسلاميّة، وسدّ الثغرات العلميّة، عِبر تسليط الأضواء على مختلف جوانب حياته، وسيرته،

وشخصيّته العلميّة والجهاديّة.

ومن العجيب أنّ مصنّفات السيّد المجاهد لم تُطبع وتُحقّق طبعاتٍ علميّة حتّى الآن، والأعجب أنّنا لم نجد كتاباً، أو دراسةً، أو أطروحة، أو مقالةً علميّة عن السيّد المجاهد في المكتبة العربيّة، والفارسيّة، والأجنبيّة، سوى النتف التي لا تُغني ولا تُسمن من جوع، بل وجدنا المصادرَ التاريخيّة شحيحةً بالمعلومات عنه، مضافاً إلى اشتمال بعضها على الأخطاء والهفوات، كما وعثرنا على كلماتٍ وأقاويل غير دقيقةٍ بشأن الفتوى الجهاديّة، وهذا ما يؤكّد بوضوح أهمّيّة إقامةِ هذا المؤتمر.

وكان من أهمّ أهداف المؤتمر: تسليطُ الأضواء على الجوانب المغفولة من سيرة السيّدِ المجاهد وحياتِه، وتسليطُ الأضواء على تراثه العلميّ، وإبراز أهمّيّته، وتحقيق أهمّ مصنّفاته ونشرها، ودراسةُ الدور الرياديّ في الجهاد للسيّد المجاهد، والردُّ على الشبهات المزيّفة والملفّقة التي تنال من حركته الجهاديّة، وبيانُ عمق تراثنا الفقهيّ والأصوليّ وسعته، والاستفادةُ منه في الأبحاث والدراسات المعاصرة.

وقد قامت اللّجنة العلميّة للمؤتمر بخطواتٍ هادفة ودقيقة في سبيل إقامة المؤتمر على أفضل وجهٍ، وأكمل صورة، وتوزّعت نشاطات المؤتمر على المحاور الآتية:

أوّلاً: محور تحقيق التراث

لمّا كان أكثر تراث السيّد المجاهد لم يُطبع ولم يُحقّق، وقد بادرت بعض المراكز العلميّة بالإعلان عن مباشرتهم بتحقيق كتابيه في علم الأصول، وهما: مفاتيح

الأصول والوسائل الحائريّة، عمدنا إلى أهمّ تراثه العلميّ المتبقّي، فتمّ تحقيقه للمؤتمر، وبالإضافة إلى تحقيق كتاب المناهل الذي أخذ مركز الشيخ الطوسيّ قدس سره على عاتقه تحقيقه ونشره، وقد قطع فيه شوطاً كبيراً، تمّ تحقيق جملةٍ من مصنّفات السيّد المجاهد، وهي ما يأتي:

١. المصباح الباهر في إثبات نبوّة نبيّنا الطاهر صلى الله عليه وآله، وقد تصدّى فيه للردّ على المسيحيّة، وإثبات خاتميّة الإسلام، صنّفه في الردّ على البادريّ وكتابه في ردّ الإسلام.

٢. المقلاد أو حجّيّة الظنّ، وهو من مصنّفاته الأصوليّة، يُطبع بالتعاون مع مركز تراث كربلاء المقدّسة، التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة.

٣. عمدة المقال في تحقيق أحوال الرجال، وهو مصنَّفه الرجاليّ.

٤. الجهاديّة أو الجهاد العبّاسيّ، وهي رسالته الفقهيّة التي صنّفها في أحكام الجهاد.

وكلّ هذه المصنّفات ممّا يُطبع ويُحقَّق لأوّل مرّة، سوى عمدة المقال في تحقيق أحوال الرجال.

ثانياً: محور الدراسات

تمّ استكتاب عدّة دراسات مستقلّة عن السيّد المجاهد، وقد حاولنا فيها استيفاء مختلف جوانب شخصيّته العلميّة، من خلال الاستكتاب في أهمّ العلوم التي صنّف فيها، من الفقه، والأصول، والرجال، والحديث، وإبراز دوره في

هذه العلوم، وتخصيص دراسات أخرى تبحث في أهمّ الجوانب المغفول عنها من حياة السيّد المجاهد الشخصيّة والعلميّة، وذلك حسب الحاجة العلميّة، وإصدار أهمّ الدراسات والكتب عنه قدس سره، وهي ما يأتي:

١. منهل الوارد في تراجم علماء آل السيّد المجاهد.
٢. السيّد عليّ الطباطبائيّ صاحب الرياض حياته وآثاره.
٣. السيّد المجاهد وكتابه مفاتيح الأصول.
٤. تلامذة السيّد المجاهد.
٥. فهرس مخطوطات مؤلّفات السيّد المجاهد.
٦. دليل وثائق مكتبة آل الحجّة في النجف الأشرف.
٧. شذرات في المنهج الفقهيّ للسيّد المجاهد.
٨. السيّد المجاهد وآراؤه الرجاليّة.
٩. السيّد المجاهد دراسة في المنهج الأصوليّ ومسألة الانسداد.
١٠. قاعدة ترك الاستفصال عند الأصوليّين مع تسليط الأضواء على آراء السيّد المجاهد.
١١. السيّد المجاهد وآراؤه في علم دراية الحديث.

ثالثاً: محور البحوث والمقالات

تنوّعت محاور البحوث والمقالات التي كُتبت في شخصيّة السيّد المجاهد ولاسيّما العلميّة منها بتنوّع العلوم والمعارف، من الفقه والأصول، والعقائد والكلام، وعلوم القرآن والتفسير، وعلوم الحديث والرجال، وعلوم اللغة

العربيّة، والفهارس والببليوغرافيا، والتاريخ، والتراجم.

فقد تمّ استكتاب أماثل الطلبة والفضلاء في الحوزة العلميّة، وعددٍ من أساتذة الجامعات العراقيّة في الكليّات ذوات الاختصاص، في بحوث ومجالات خاصّة، وقد تنوّعت المشاركات من مختلف الدول، من العراق، وإيران، والسعوديّة، ولبنان، والكويت، وغير ذلك، كذلك تنوّعت البحوث بتنوّع محاور المؤتمر في مختلف العلوم والمعارف.

رابعاً: محور الإعلام

اشتمل هذا المحور على جهود مختلفة، أهمّها إعداد فلم وثائقيّ عن حياة السيّد المجاهد العلميّة والتاريخيّة.

ولا يطيب لنا في الختام إلّا أن نتقدّم بالشكر الجزيل والثناء الجميل لكلّ من أسهم وآزر في إقامة هذا المؤتمر العلميّ، ولو بالدعاء، فإنّ من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق عزّ وجل، وفي مقدّمتهم: المرجع الدينيّ الأعلى سماحة السيّد عليّ الحسينيّ السيستانيّ (دام ظلّه الوارف)، الذي واكب السيّد المجاهد في فتوى الجهاد المقدّسة، ولولاها لما تهيّأت لنا الظروف لإقامة نحو هذه المؤتمرات، ونبتهل إلى العليّ القدير أن يُديم ظلّه الشريف.

ونخصّ بالذكر أيضاً: المتولّي الشرعيّ للعتبة العبّاسيّة المقدّسة، سماحة السيّد أحمد الصافي (حفظه الله)، وجميع السادة الأفاضل من المدراء والمسؤولين في العتبة العبّاسيّة المقدّسة، على مشرّفها آلاف السلام والتحيّة.

والشكر موصولٌ لجميع الجهات المساهمة في إقامة هذا المؤتمر، من المؤسّسات

والمراكز العلميّة، والمكتبات الإسلاميّة، ونخصّ بالذكر منهم:

١. مركز إحياء التراث، التابع لدار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة.

٢. مركز تصوير المخطوطات وفهرستها، التابع لدار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة.

٣. مركز تراث كربلاء المقدّسة، التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة.

والشكر إلى المشايخ والسادة الأفاضل في اللجان العلميّة، والكوادر الفنّيّة في الأمانة العامّة، والعاملين في مركز الشيخ الطوسيّ قدس سره، وجميع الأيادي المساهمة في إقامة المؤتمر، ممّن لا يتّسع المقام لذكرهم وعدّهم، فلهم منّا خالص الشكر وفائق التقدير، ونسأل الله العليّ القدير أن يتقبّل منهم ويُثيبهم، ويجزيهم خير جزاء المحسنين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

دليل الانسداد عند السيّد المجاهد قدس سره

السيّد عبد الهادي محمد علي العلويّ

الحوزة العلمية - النجف الأشرف

ملخص

يعدّ السيّد محمّد المجاهد من أبرز الأصوليّين القائلين بنظرية الانسداد المفيدة لحجيّة الظنون مطلقاً إلّا ما خرج بالدليل، وصنّف لإثبات مختاره العلميّ الرسالة المعروفة بـ(المقلاد)، مستدلاً على ذلك بأدلّة كثيرة، عمدتها ما يُسمّى بـ(دليل الانسداد) المؤلّف من أربع مقدّمات.

وقد جاءت هذه الدراسة لتشير في مقدّمتها إلى الجذور التاريخيّة لنظريّة الانسداد، ودليلها، وإلى الثمرات المترتّبة عليها، وأمّا مباحثها فثلاثة؛ وجاء المبحث الأوّل ليسلّط الضوء على رسالة المقلاد بتوصيفها وفهرسة مباحثها على نحو إجماليّ، وتكفّل المبحث الثاني باستعراض دليل الانسداد عند السيّد المجاهد والبرهنة على مقدّماته والإجابة على الإشكالات الواردة عليه، واختصّ المبحث الثالث بتقرير جملة من النتائج المترتّبة على نظريّة الانسداد عند السيّد المجاهد.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمّد وآله الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.

المقدمة

لا يخفى مدى تأثير علم الأصول في الفقه، فبدون الأصول يعجز الفقيه عن استنباط الأحكام، وتعدّ (مباحث الحجّة) في الأصول من أبرز المباحث؛ لأنّه يُبحث فيها عمّا يصلح أن يكون دليلاً وحجّة على الحكم الشرعيّ، وأساس هذه المباحث - بعد الفراغ من حجّيّة العلم - مبنيّ على مسألتين مترتبتين:

الأولى: حجّيّة الظنّ في الأحكام الشرعيّة، وقد وقع الخلاف فيها؛ حيث ذهب بعض الأعلام[1] إلى انحصار الحجّيّة في العلم رافضين حجّيّة الظنّ مطلقاً، وذهب بعضهم[2] إلى حجيّة الظنون في الجملة.

وفي العصور الأخيرة صار يُعرف القائلون بعدم الحجّيّة بـ(الإخباريّين) أو (المحدّثين)، و يُعرف القائلون بالحجّيّة بـ(الأصوليّين) أو (المجتهدين).

الثانية: أصالة حجّيّة الظنّ، أي: هل الأصل في الظنّ الحجيّة إلّا ما خرج

(١) ينظر: الفوائد الطوسيّة ص٤٠٢، الفوائد المدنيّة ص١٨٠، وغيرها.

(٢) ينظر: تهذيب الوصول ص٢٢٨، معالم الأصول ص٢٦٢، زبدة الأصول ص٩١، الوافية في أصول الفقه ص١٥٨، وغيرها.

بالدليل - كالقياس - أو أنّ الأصل هو عدم الحجّيّة إلّا ما خرج بالدليل - كالظواهر -؟ خلافٌ بين الأعلام، والمعروف[1] بينهم هو عدم الحجّيّة، وذهبت جماعة[2] إلى الحجّيّة.

وصار يُعرف القائلون بعدم الحجّيّة بـ(الانفتاحيّين)، قبال القائلين بالحجيّة فعُرفوا بـ(الانسداديّين)؛ لأنّ عمدة أدلّتهم يُسمّى بـ(دليل الانسداد)، وهذا الاسم مأخوذ من أهمّ مقدّماته: (انسداد باب العلم)، كما سيتّضح.

وقد شاع نسبة نظريّة الانسداد إلى الميرزا أبو القاسم القمّيّ صاحب القوانين، وكأنّه هو الأول في إبداعها، إلّا أنّ الظاهر - كما أفاد السيّد صدر الدين العامليّ وغيره[3] - أنّ أوّل مَن بدأ بهذه النظريّة هو الوحيد البهبهانيّ، وتبعه جماعة من الأعاظم، كأصحاب الرياض والقوانين والمحصول وغيرهم، بل حُكي أنّه مذهب علماء كربلاء المقدّسة[4]، بل قيل: إنّ الانسداد قد يستفاد من كلمات العلّامة الحليّ، والشهيد الأوّل، وغيرهما[5].

فلعلّ شهرة نسبتها للميرزا القميّ بسبب كثرة مساهمته في بلورتها، والدفاع عنها، وإدخالها حيّز التطبيق الفقهيّ.

(١) ينظر: الفوائد الأصوليّة ص١٩٧، هداية المسترشدين ج٣ ص٣٢٩، وغيرها.

(٢) ينظر: الرسائل الأصوليّة ص٣٦، تراث الشيعة الفقهيّ والأصوليّ (حجّيّة الشهرة) ج١ ص٥٤٩، القوانين المحكمة ج٣ ص٢٣٨، المحصول في علم الأصول ج٢ ص١٦٧، وغيرها.

(٣) ينظر: رسالة في حجّيّة الظنون (مخطوط) ص٦، شرح هداية المسترشدين ص١٦٣.

(٤) ينظر: رسالة في حجيّة المظنّة ص٨٠، رسالة في حجّية الظنون (مخطوط) ص١١.

(٥) ينظر: مفاتيح الأصول (رسالة المقلاد) ص٤٥١.

ويستحسن التنبيه على أنّ دليل الانسداد ليس من ابتكار القائلين بالانسداد، بل كان مطروحاً في كلمات الأصوليّين قبلهم، ويبدو أنّ أوّل مَن طرح أصل الدليل من الأصوليّين هو المحقّق الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني في كتابه (معالم الدين)، فإنّه استدلّ على حجّيّة أخبار الآحاد - بعد الآيات والإجماع - بدليل عقليّ، وجعله رابع الأدلّة، فقال:

(الرابع: أنّ باب العلم القطعيّ بالأحكام الشرعيّة - التي لم تُعلم بالضرورة من الدين، أو من مذهب أهل البيت عليهم السلام - في نحو زماننا هذا منسدّ قطعاً؛ إذ الموجود من أدلّتها لا يفيد غير الظنّ... وإذا تحقّق انسداد باب العلم في حكم شرعيّ كان التكليف فيه بالظنّ قطعاً، والعقل قاضٍ بأنّ الظنّ إذا كان له جهات متعدّدة يتفاوت بالقوّة والضعف، فالعدول عن القويّ منها إلى الضعيف قبيح، ولا ريب أنّ كثيراً من أخبار الآحاد يحصل بها من الظنّ ما لا يحصل بشيء من سائر الأدلّة، فيجب تقديم العمل بها)[1].

وقد أثار هذا الدليل عناية الأصوليّين من بعده، فشيّدوا أركانه ورمّموا فجواته، ثمّ تنبّه جماعة إلى أنّ هذا الدليل يفيد حجّيّة كلّ الظنون، لا خصوص الظنّ المستفاد من أخبار الآحاد، فتمسّكوا به بعد بلورته أكثر - إضافة لأدلّة أخرى -؛ لتأسيس قاعدة وضابطة عامّة يُرجع لها، وهي: أصالة حجّيّة الظنّ نظير أصالة الطهارة والحليّة والحقيقة.

وقد كان للانسداد أثر بارز في البحث العلميّ، فعلى الصعيد الأصوليّ بُحِث الدليل على نحو معمّق ومفصّل، وطُرح في طيّاته أبحاث شريفة ونفيسة لا غنى

(١) معالم الدين ص٢٦٨.

عنها، وعلى الصعيد الرجاليّ أصبح الانسداد مسلكاً خاصّاً في التقويمات الرجاليّة، وعلى الصعيد الفقهيّ دُوِّنت دورات فقهيّة كثيرة على وفق مبنى الانسداد، وامتازت بكثير من الخصائص، كتتبّع أقوال الفقهاء المفيد لتحصيل الشهرة، وتمييز الشذوذ، وذكر الوجوه والاحتمالات المتعدّدة، وغيرها.

وحُكي عن بعض الأعاظم (دام ظلّه): أنّ دليل الانسداد يكون مفيداً بالنسبة إلى مَن يقول بحجّيّة الخبر الموثوق به - صدوراً أو مضموناً -، ومَن يقول بحجّيّة الاطمئنان الحاصل من المبادئ العقلائيّة من الخبر وغيره؛ إذ ليس هناك حدّ مضبوط بين الوثوق والظنّ، وبين الاطمئنان والمظنّة، فإنّه كثيراً ما يطمئن الإنسان إلى أمر ثمّ يحصل له الظنّ أو بالعكس، والقائلون بحجّيّة الخبر الموثوق وكذا القائلون بحجّيّة الاطمئنان ربّما يشكّون في أنّه هل وصل إلى حدّ الوثوق أو الاطمئنان أو لا؟ فلو كان دليل الانسداد تامّاً لم يبقَ قلق نفسيّ[1]، انتهى.

ولا يخفى أنّ السيّد محمّد المجاهد قدس سره من أبرز الأصوليّين في القرن الثالث عشر، وكتابه (مفاتيح الأصول) أشهر من نار على علم، وهو - أصوليّاً - امتداد لمدرسة جدّه الوحيد البهبهانيّ قدس سره، حيث كوّنت شخصيّته الأصوليّة على تصانيفه وتلامذته، ولهذا نجده كثيراً ما يقابل آراءه بالتأييد والتبنّي وإنْ كان يتنظّر في بعضها أحياناً، ولا يُتوهمنّ أنّ ذلك تقليد منه - إذ لا شكّ في أنّه مجتهد صرف - بل هو تنبيه على اتّحاد المسلك الأصوليّ، وإشارة لقوّته ورصانته؛ لوصول الأبحاث الأصوليّة لأوج نضجها وبلورتها على يد البهبهانيّ رحمه الله.

(١) الاجتهاد والتقليد والاحتياط ص٥٠.

والسيّد المجاهد هو أحد أبرز القائلين بالانسداد، وأنّ الأصل في الظنون الحجّيّة إلّا ما خرج بالدليل، وصنّف في أوج زعامته العلميّة والدينيّة رسالته الشهيرة بـ(المقلاد) في مدينة كربلاء المقدّسة سنة (١٢٣٤هـ)، فلقيت القبول في الأروقة العلميّة، وسرعان ما وصلت نسخها إلى الحواضر العلميّة في البلدان الكثيرة كالنجف الأشرف، والكاظميّة المقدّسة، وأصفهان، وخوانسار، وبروجرد، وغيرها.